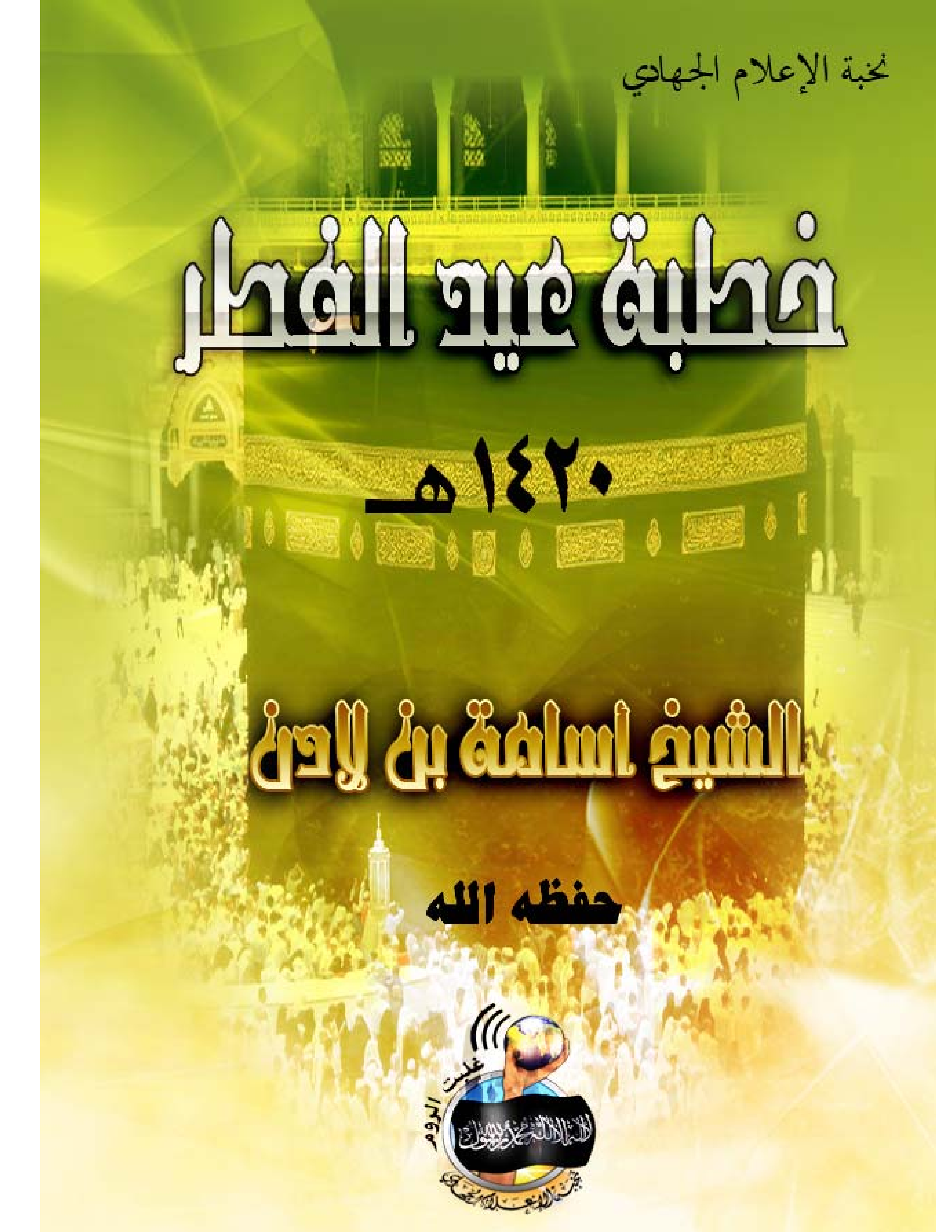

نخبة الإعلام الجهادي
خطبة عيد الفطر
١٤٢٠هـ
الشيخ أسامة بن لادن
حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

نُخْبَةُ الإِعْلامِ الجِهَادِيِّ

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

تفريغ

خطبة عيد الفطر 1420 هـ

لفضيلة الشيخ أسامة بن لادن

حفظه الله

الصادر عن مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره ونستهديه , ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا , من يهده الله فلا مضل له , ومن يُضلل فلا هادي له . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له , و أشهد أن محمداً عبده و رسوله , (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) , (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) , (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) .

أما بعد ..

فها هو ذا العيد يعودُ على الأمة الإسلامية , و يعودُ علينا اليوم بأفراح و أتراح , يعودُ العيد على الأمة في هذا الوقت الذي ينبغي أن يكون كله أفراح , ولكن الأمة اليوم تكتنفها أتراحٌ و أحزانٌ عظيمة .

يعودُ العيدُ بعد هذا الشهر الكريم .. شهرِ الجهاد و شهرِ القرآن .. شهر رمضان المبارك .. شهر الصيام و القيام .. شهر التقوى , قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) , فهذا الشهر مَنَّ الله سبحانه و تعالى به علينا لنرتقي إلى مرتبة التقوى حتى نقوم بالتكاليف الشرعية , حتى نقوم بحمل هذا الدين العظيم , وحتى نسير على الطريق المستقيم . وتكاليف الدين عظيمةٌ ثقيلة ييسرها الله سبحانه وتعالى على من يُحب , و في بعضها كُره قال تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) , ولا يقوم بالجهاد ذروةِ السنام إلا من وفقه الله سبحانه وتعالى وارتقى في مراقي التقوى , فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من المتقين .

فهذا العيدُ يعود , و في هذه اللحظات يعود على إخواننا المسلمين في فلسطين , وفي لبنان , وفي العراق , وفي السودان , والصومال , وفي البوسنة , وفي الشيشان , وما أدراك كيف يعود العيد على إخواننا في الشيشان ! يعود عليهم و دوي المدافع يزلزل الأرض هناك , يعود عليهم وقصف الطائرات على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا حول لهم ولا قوة . الكفر العالمي تآلب وتكتّل وتحشّد ضد أهل الإسلام وضد المسلمين في الشيشان , قصفٌ ونسفٌ وتخريب , دكٌّ للجسور وهدمٌ للبيوت وانتهاكٌ للأعراض وسفكٌ للدماء , دماءُ المسلمين أرخص الدماء ولا حول ولا قوة إلا بالله .

جراحُ المسلمين غائرة , غائرة جداً في كل مكان , ولكن جراحنا اليوم في أعظم مقدساتنا .. في البيت العتيق .. في الكعبة المشرفة في مسجد نبينا عليه الصلاة والسلام , بعدما خذلنا مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام في القدس , ها هم الصليبيون واليهود قد تحالفوا وغزوا دار الإسلام , في عقر دارنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم , فلئن كانت تلك مصائب عظيمة و غائرة إلا أن مصيبتنا في البيت العتيق هي أشدها وأعظمها وأوجعها وآلمها , هذا البيت وما أدراك ما عظمة هذا البيت عند الله سبحانه و تعالى ! هذا البيت هو أول بيت وُضع للناس , اختار له الله سبحانه وتعالى أبا الأنبياء إبراهيم من أولي العزم من الرسل عليه الصلاة والسلام , وابنه إسماعيل عليه السلام لكي يقوموا ببنائه , مِن تشريفه سبحانه وتعالى لهذا البيت لا يبنيه العُمال وإنما يبنيه أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام , هذ البيت شأنه عظيم جداً , ولا يقبل الله سبحانه وتعالى منا فرضاً من هذه الصلوات الخمس من عمود الدين إذا لم نتجه إلى البيت العتيق , ولم يُصَب المسلمون في طول تاريخهم منذ بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام لم نُصب بمثل هذه

المصيبة قط , لم يستطع الكفار أن يعتدوا على البيت العتيق من قبل , وإنما حاول النصارى قبل بعثته عليه الصلاة والسلام , جاء ستون ألفاً من نصارى الحبشة على رأسهم أبرهة , جاؤوا يريدون أن يكيدوا بالبيت العتيق , فتقدموا , وتقدم لهم رجال , رجالٌ من الجاهليين ولكن كان مما بقي لهم من ملة إبرهيم عليه الصلاة والسلام تعظيم هذا البيت العتيق , فخرجت قبائل العرب المتفرقة قبيلة تلو قبيلة تريد أن تصد أبرهة وجيشه , ولكن لأمر يريده الله كُسِرت هذه القبائل , و استمر أبرهة حتى وصل إلى الطائف , وهناك بحث عمن يدله إلى البيت العتيق فما وجد إلا أشقاها .. وجد أبو رغال , خرج ليدله على البيت العتيق , بئس الدليل ! بئس الدليل! فأماته الله سبحانه وتعالى بين الطائف ومكة , ولكن أين له أن ينجو من العرب التي تعظم البيت حتى في الجاهلية ؟ فسنُّوا سُنة ليعتبر الناس من بعد ولتعتبر الناشئة حتى لا يعتدي أحد على البيت العتيق , فرجموا قبره و أصبح سُنة في الجاهلية , فسار أبرهة , وهو في طريقه إلى البيت العتيق حدثت معجزة وآية وكرامة , هذه الفِيَلة هذه العجماوات فقهت أن الله سبحانه و تعالى له بيت و أنه لا بد من تعظيم البيت و لا بد تعظيم رب البيت سبحانه وتعالى , فربضت وبركت للأرض , فيشبعوها ضرباً , لا تتحرك مقدار أنملة في اتجاه الكعبة المشرفة تعظيماً وإجلالاً لربها سبحانه وتعالى .
ستون ألفاً .. أراد عبد المطلب أن يذود عن البيت العتيق , و أنّى له وأهل مكة بضع مئات وهؤلاء ستون ألفاً ؟ فالتزم البيت العتيق , واستغاث وتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بأن ينصر بيته , ثم رفعت قريش ذويها وذراريها إلى الجبال تنظر ما الذي يكون , فكانت آية أخرى .. أرسل الله سبحانه وتعالى طيراً أبابيل تحمي هذا البيت و تذود عنه فأهلك ستين ألفاً من النصارى, و هم أهل كتاب وقريش مشركون , لكن تعظيماً للبيت لم يبالِ الله سبحانه وتعالى بهم في أي وادٍ هلكوا , لم يبق منهم مخبر , وأنزل من فوق سبع سماوات سورةً تتلى إلى يوم القيامة , يحفظها الصغار فضلاً عن الكبار, تُبيِّن مدى غيرة الله سبحانه وتعالى على هذا البيت العتيق , وتبيّن لنا أن الذين يريدون كيداً للبيت العتيق فكيدهم في ضلال وتضليل , قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) بلى والله .. جعلَ كيدهم في ضلالٍ وتضليل , لم يبقَ لهم أثر وكُفيَ البيت بفضل الله سبحانه وتعالى.
هذا البيت من أجلهِ يُهلك الله سبحانه وتعالى جيشاً عرمرماً يريد البيت , كما في الصحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام : "يؤمُّ هذا البيت جيشٌ فيُخسف بأولهِ وآخره" , قيل له : يا رسول الله إن فيهم المُكره وفيهم من ليس منهم , قال : " يُخسف بأولهم وآخرهم , ويُبعثوا على نياتهم " , شؤمُ مجاورة الذين يكيدون للبيت , شؤمُ خُذلان هذا البيت ولو كنت مُكرهاً , مجاورتك للذين يكيدون للبيت العتيق هذه تَبعتها , أن يُخسف بك في هذه الأرض , نسأل الله العافية .
وما ظهرَ في الأمةِ بعدَ أبي رغال أبو رغالٍ آخر , مرّت أربعة عشر قرناً من السنين وعشرٍ فوقها , لم يظهر أبو رغال على ما في هذه القرون من أشقياء , ولكن يُريد الله سبحانه وتعالى أن يبتلينا ويَختبر إيماننا , أنذود عن بيته أم نقعد مع القاعدين ونتخلّف مع الخوالف .
ما ظهرَ إلا في عصرنا هذا , ظهرَ أبو رغال وأحفادُ أبي رغال , ظهروا ليبيحوا بلاد الحرمين , فتصبح حمى مستباحاً لدبابات الأمريكيين , للجنود الأمريكيين , بل للمجندات من بنات اليهود والنصارى , يسرحون ويمرحون على أرضٍ وُلد فيها محمدٌ صلى الله عليه وسلم , على أرضٍ نزل فيها جبريل الأمين بالقرآن العظيم من السماء على محمدٍ صلى الله عليه وسلم , هذه الأرض شأنها عظيم , فهي أحب البلاد إلى الله سبحانه وتعالى كما صحّ عن نبينا عليه الصلاة والسلام , وما أدراك ما شأن البيت عند الله سبحانه وتعالى !

هذا البيت عَرَّف الله سبحانه وتعالى نفسه بالإضافة إلى البيت العتيق , فأمرنا بالعبادة في آيات كثيرة , ولكن لحكم كثيرة جاء الأمر هنا بالعبادة مقترناً باسم البيت العتيق , قال سبحانه : (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) رب هنا نكرة عُرّفت بالإضافة إلى البيت العتيق (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) و قال في آية أخرى نسب فيها البيت إليه سبحانه وتعالى نسبةَ تشريفٍ وتعظيمٍ كما قال سبحانه : (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) فشأن

البيت عظيم و لا نستطيع في هذه الخطبة أن نأتي على كل ما ذُكر في شأنه , فإنه صحّ عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال : " أبغض الناس إلى الله ثلاثة " , فذكر من ضمنهم : " أبغض الناس إلى الله ثلاثة مُلحدٌ في الحرم " , فإذا كان الذي يأتي بالذنوب والتي هي دون الإلحاد سُميت إلحاداً لأن الكبائر ولأن المعاصي في البيت العتيق في حرم الله سبحانه وتعالى تُضاعَف مضاعفة كبيرة , كما أن الحسنات تضاعف أيضاً , فكما تعلمون أن الركعة عند البيت العتيق بمائة ألف ركعة .

و هنا يثور تساؤل : إلى متى سيقعد المسلمون عن نصرة الله سبحانه وتعالى , وعن نصرة بيته, وعن تطهير أرض الحرمين من رجس الصليبيين واليهود ؟ أما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا) ؟ أما قال صلى الله عليه وسلم وهو في مرض الموت في الحديث الصحيح الذي يرويه ابن عباس -رضي الله عنهما- في يوم الخميس , وما أدراك ما يوم الخميس ! في يوم الخميس اشتد وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بكى حتى بل دمعه الحصباء , وقال عن وصية نبينا عليه الصلاة والسلام فكانت وصيته و هو على فراش الموت :" أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" , أخرجوا المشركين من جزيرة العرب , فماذا أعددنا من جوابٍ يومَ الحساب , يوم التغابن , يوم القيامة ؟ ماذا أعددنا من جواب لله سبحانه وتعالى ؟ هل كنا مستضعفين ؟ الله سبحانه وتعالى مطلعٌ على قلوبنا .

وإن ما وصلت إليه الأمة في هذا الزمان من تيه وضياع , ها قد مرت عشر سنوات منذ دخول الأمريكيين إلى بلاد الحرمين , ومرَّ أكثر من سبع عقود منذ سقوط مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام مع اليهود , إن هذا التيه الذي نعيشه لا بد أن نبحث في كتاب الله سبحانه وتعالى لنجد السبيل , ولنبحث عن الأسباب والأمراض التي أصابتنا حتى خذلنا البيت العتيق , خذلنا هذا البيت العظيم الذي لا يقبل الله سبحانه وتعالى منا الركن الخامس من أركان الإسلام إذا لم نطُف بالبيت العتيق.
عند البحث و التأمل في كتاب الله , هذا الكتاب الذي ما فرّط الله سبحانه وتعالى فيه من شئ , كما قال سبحانه : (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) , بل جعله هدى وتبياناً لنا , يتضح لنا أن كراهية القتال وحبَّ الدنيا الذي استولى على قلوب كثير منا هو السبب الرئيسي في هذه المصائب وفي هذه الذلة والهوان , فقد قال الله سبحانه وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) الله أكبر , الله أكبر على هذا المنهج العظيم الكامل الشامل , تدبروا هذه الآيات .. ماذا قالوا ؟ (لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ) , وماذا عسى أن يكون بعد التأجيل والتأخير ؟ سيلٌ من الأعذار لا ينقطع ولا ينتهي , لم يذكره الله سبحانه وتعالى هذا السيل من الأعذار , وإنما بيّن أصل هذه الأعذار التي لا تنتهي , فكان الجواب (قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ) .. هذه الأعذار منشأها التعلق بالدنيا , فينبهنا سبحانه وتعالى وهو أعلم بأنفسنا وضعفها , يذكرنا بأن متاع الدنيا قليل , فعلامَ نبخل بأنفسٍ هو خلقها سبحانه وتعالى ؟ وبأموال هو رزقها سبحانه وتعالى ؟ (قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً) , انتبهوا إلى الآية التي تليها , تبين للناس أن الأمر بين هذين .. بين تعلق بالدنيا وخوف من الموت , فكان الجواب واضحاً صريحاً بيّناً (أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) , فالذي أنار الله بصره وبصيرته يستجيب لله والرسول بتقديم نفس هو خلقها سبحانه وتعالى , ما أجهلك يا ابن آدم ! تبخل بشئ ليس لك بل إن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقه ورزقك (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ) من أوفى بوعده من الله سبحانه وتعالى ؟ و

نِعمَ بالله , هذا العقد في التوراة والإنجيل والقرآن , صفقةٌ بين مالك السموات والأرض وبين هذا المخلوق الضعيف , ولكن من خَفَّ الإيمان في قلبه لم يفقه ما أعدَّ الله سبحانه وتعالى للمجاهدين , نرجو الله سبحانه وتعالى أن يُزين الإيمان في قلوبنا وأن يُكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان .
وهذا المعنى يؤكده سبحانه وتعالى أيضاً في آيات كثيرة , منها قوله سبحانه وتعالى معاتباً المؤمنين , معاتباً الصحابة رضي الله عنهم بقوله (ما لكم) .. (ما لكم) , قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) نفس المعنى , الذين يتأخرون عن القتال قل ما شئت من أعذار , قل ما شئت من انشغالك بطاعات وعبادات , فقد كان أولئك الرجال أفضل منا , وكانوا منشغلين بتلك الطاعات والعبادات التي نشتغل بها اليوم , ولكن إذا صِيح بهم (يا خيل الله اركبي) تركوا كل شئ ونفروا خفافاً وثقالاً رضي الله عنهم , ومن تأخَّرَ تأتي الآيات لعتابه وتأتي الآيات لبيان عقابه , (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) .. مسألة واضحة بينة .

ثم تأتي الآية لتحسم الأمر , لا مجال هناك للتردد وللتفكر للتربص (إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً) .. اللهم كما وفقتنا للجهاد في سبيلك في أفغانستان التي نحن عليها اليوم و للجهاد في سبيلك ضد الأمريكان ومن شايعهم ومن عاونهم , فنسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تثبتنا على هذا الطريق حتى نلقاك و أنت راضٍ عنا.

فيتضح من الآيات أسباب القعود : حُب الدنيا وكراهية الموت , كما جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه عن نبينا عليه الصلاة والسلام والذي ذكر فيه : " ويلقى في قلوبكم الوهن " , قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ , قال : "حب الدنيا وكراهيتكم الموت " , وفي رواية أخرى : " حب الدنيا وكراهيتكم القتال " .
فمن هنا يأتي التيه والضياع , فبهذا تَبيّن لنا بعض الأسباب المهمة التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه, وأيضا يُبيِّن سبحانه وتعالى سُنَّته في التيه , سُنَّته في ضرب التيه على من يخذل دينه وعلى من يخذل الأرض المقدسةِ , هذا التيه سُنَّة حتمية للذين يخذلون الله ورسوله , هذا الضياع و هذه الحيرة التي ركبت الأمة , وهذا البأس الذي جُعِل بيننا هي كلها سُنن لمّا تركنا دين الله وتركنا الجهاد في سبيله .
ففي الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام كما صحَّ عنه : " إذا تبايعتُم بالعينةِ , ورضيتم بالزرعِ, واتّبعتُم أذنابَ البقر , وتركتُم الجهادَ في سبيلِ الله , سلّط الله عليكم ذُلاً لا يرفعه عنكم حتى تراجعوا دينكم " .
حديثٌ واضح بيّن , والحجة على العرب أكثر من غيرهم , هذا حديث نبينا عليه الصلاة والسلام بلسانكم سلط الله عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم , فلا بد من الرجوعِ إلى الدين , ولا بد من تركِ الكبائر , ولا بد من الأخذِ بالجهادِ في سبيلِ الله .
وأما التيه فقد بيَّنه سبحانه وتعالى مبيناً الحوار الذي دارَ بين موسى عليه السلام وبين قومه عندما أُمروا بالجهاد فقعدوا , قال سبحانه وتعالى :
(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا) ..
الله أكبر ... الله أكبر .. من أُمةٍ طويلةٍ عريضة وفقَّ الله سبحانه وتعالى رجلين يخافون , فالخوف مرتبط بهذا الجهاد , الخوف والخشية كلاهما له ارتباط عظيم بهذا الجهاد , فالذي يقعد عن الجهاد هو يخاف الناس , والذي يقوم يحمل رأسه على راحته هو يخاف الله , فقد مر معنا في الآيات الماضية (إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) فهؤلاء لا يريدون القتال (لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ) .

وهنا رجلان يخافون لكن مِن الله العلي العظيم , الذي يخاف من الله العلي العظيم , الذي يخاف من يوم الحساب والسؤال , هذا ينفر خفيفاً لا يلوي على شيء حتى يلقى الله وهو عنه راضٍ .
(قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا) يقول ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية كانت نعمة الله عليهم عظيمة ومنَّته عليهم كبيرة , أنعم الله عليهما , أنعم الله عليهما , ألا تحبون أن تكونوا ممن ينعم الله عليه ؟
(أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ولكن الفارّ لا يرده شيء , والجبان لا يوقفه شيء , فلا نامت أعين الجبناء .

ها نحن بفضل الله ومِنته أكثر من عشرين سنة في فِيّ الأسد تطاردنا صواريخ سكود الروسية أكثر من عشر سنوات , وها هي صواريخ كروز الأمريكية تطاردنا خلال العشر سنوات هذه , والمؤمن يعلم أن الأرواح والآجال لا تتقدم ولا تتأخر (أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) .
ويعلم أن النفس لا تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها كما بيّن لنا ذلك رسولنا عليه الصلاة والسلام .

رجع الجدال من جديد , واللجاجة رجعت من جديد , فتكلم قوم موسى : (قَالُواْ يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَآ أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) لا حول ولا قوة إلا بالله !
خذلانٌ عظيم , فلذا جاء العقاب , قال موسى عليه السلام : (قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) فسماهم فاسقين , ثم يؤكد الله سبحانه وتعالى فسقهم في آيات كثيرة , فقال سبحانه : (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) .
تيه .. سُنة الله في الذين يخذلون دينه .. تيه في عبارات واضحة , فما تعيشه الأمة اليوم هو تيه كبير, نحن لم نخرج بعد من التيه الذي ضُرب علينا بسبب خذلاننا للمسجد الأقصى مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام , فإذا بنا ندخل في تيه أكبر وأعظم ولا حول ولا قوة إلا بالله .
فالسبيل هو الجهادُ والهجرةُ في سبيل الله , فلا يستقيم أمر الدين إلا بالكتاب والسنة , وقد بلَّغ صلى الله عليه وسلم وجاهد في الله حق الجهاد وأدى الرسالة وبلَّغ الأمانة عليه الصلاة والسلام فجزاه الله خير ما جزى نبياً عن أمته .
واليوم لا بد من ورثة النبوةِ أن يحملوا هذا الحق , يقتدوا بهديه عليه الصلاة والسلام , ولا يستقيم أمر الدين وعلماء الأمة تحت قبضة الملحدين والفاجرين والظالمين والزنادقة والملحدين , لا يستطيعوا أن يقولوا كلمة الحق .
هذا محمدٌ صلى الله عليه وسلم مكث ثلاثة عشر سنة وهو المؤيد بالوحي , وخير من نطق بالضاد , يُحرّض الناس فآمن معه بضع مئات , فلما هاجر في الله ومن أجل الله دخل الناس في دين الله أفواجاً , وقامت دولةُ الإسلام .
واليوم نحن نؤرخ بهجرته لِمَا كان لها من الأثر العظيم على انتشار هذا الدين , فاليوم نحن في أول أيام العيد من عام ألف وأربعمائة وعشرين للهجرة وقد مرَّ على غزو الصليبيين عشر سنواتٍ كاملة , ولا حول ولاقوة إلا بالله لبلاد الحرمين .

إذاً .. بعد أن علمنا الداء , هذا هو الدواء والشفاء في كتاب الله , الهجرةُ والجهاد .. أعظم الصفات في كتاب الله .. إيمانٌ وهجرةٌ وجهاد .. الله سبحانه وتعالى عندما يمدح خير الناس الصحابة رضي الله عنهم يمدحهم بهذه الصفات الثلاث . تدبروا كتاب الله , تدبروا كتاب الله سبحانه وتعالى , يقول سبحانه في آخرسورة الأنفال مادحاً خير البريةِ الصحابة الكرام بعد نبينا عليه الصلاة والسلام بهذه الصفات ويشهد لهم بصفةٍ عزيزةٍ نادرة , حتى في كتاب الله وحتى

على الصحابةِ الكرامِ , قال سبحانه : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) .
يشهدُ لهم بالإيمان الحق , هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا , فلا يستقيم أمر الدين إذا لم يهاجر ورثةُ محمد صلى الله عليه وسلم , يصدعون بالحقِّ كما خرجَ الصحابةُ الكرام وخرجَ رسولنا عليه الصلاة والسلام , وهذه سُنَّة الله في دينه .
وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها في حديثها عن أول ما بُدِئ الوحي , تذكر قصة رسولنا عليه الصلاة والسلام مع ورقة بن نوفل , وكان قد تنصَّر في الجاهلية , فلما شرح له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجده من بداية الوحي فقال له : "إن هذا الناموس هو الذي نزَّل اللهُ على موسى عليه السلام" , ومما قال : "يا ليتني أكون فيها جذعاً إذ يُخرِجك قومك" , -انتبهوا ياعباد الله- , فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أوَمُخرجيَّ هم ؟" قال : "نعم , ما جاء رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي ولئن يدركني يومك لأنصرك نصراً مؤزراً" .
كل من جاء بالحق يُعادى , فالذي لا يُعادى ممن ثبت أنهم يوالون الكفارَ ويحكمون بغير شريعة الله , فليعلم أنه ليس على الجادةِ وليس على المنهج , "ما جاء رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي" .

هم لا يرضون بأهل الحق إلا إذا داهنهم أهلُ الحق (وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) , تريد أن تأكل وتشرب معهم وتقوم ببعض العبادات التي لا تتعارض مع منهجم لا حرج عليك , أما إذا أردت أن يكون الدين كله لله فهذا لا سبيل إليه إلا بالهجرة والجهاد كما فعل خير الناس عليه الصلاة والسلام.
فخرج الصحابة الكرام لمّا صُبَّ عليهم البلاءُ صباً , فخرج أبو بكر وهو سيدٌ من ساداتِ قريشٍ , حتى إذا كان ببعض الطريق بعيداً عن مكة , وجده ابن الدُّغُنة فقال : "إلى أين يا أبا بكر؟" , قال : "خرجت مهاجراً في سبيل الله , أخرجني قومي" , قال : "مِثلُك ما يُخرَج" , جاهليّ ولكن كان بقي لديهم قيم وشهامة وأخلاق واعتبارات فاضلة , قال : "مثلك ما يخرج إنك لتُقري الضيف وتُكسب المعدوم وتُعين الناس , ارجع معي في جواري" , فرجع فلما صدع بالحق من جديد أصروا عليه وآذوه حتى مَنَّ الله عليه بعد ذلك بالهجرةِ مع خير الناسِ مع محمد صلى الله عليه وسلم (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) .
وخرج الصحابة إلى الحبشةِ و معهم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجها عثمان , بهذه الهجرة انتشر الدين , وجُهِر بالحق , وصُدِع بالقول الصحيح الذي أذلَّ الله سبحانه وتعالى به الباطل .
خرج هذا الموكب المتواضع إلى الحبشة , تقول أم عبد الله بنت أبي حتمة رضي الله عنها -كما أورد ابن هشام في سيرته رحمه الله- تقول : "إننا لنترحل للهجرة إلى الحبشة وذهبَ عامرٌ- أي أبو عبدالله - ذهبَ عامرٌ ليأتي ببعض حاجتنا , إذ أقبل عمر" , وما أدراك ما عمر في الجاهلية فظ غليظ صنديد من صناديدِ قريشٍ صبّ العذاب والأذى على المؤمنين صباً , تقول : "إذ أقبل عمر , فقال : إنه للرحيل يا أم عبد الله ؟ قالت : نعم والله , آذيتمونا وقهرتمونا" , فلم يحتمل عمر هذا المنظر وهو الفظُّ الغليظ .. لم يحتمل أن يرى المستضعفين من الرجال والنساء والولدان يتركون أرضهم التي وُلدوا عليها , ويتركون عشيرتهم , ويتركون آباءهم وأمهاتهم , لم يحتمل هذا وفي داخلهِ صراع بين استكباره عن الحق واصراره على إيذاء هؤلاء المؤمنين وبين هذا المنظر الذي يقطع القلوب , أين يذهبون ؟ يركبون البحر وما لهم من قبل به خبرة ؟ أين يذهبون إلى البُعَداء الغرباء ؟ لا نسب ولا قرابة ولا أُخوة دين , ولكن تغلَّب عليه جانب الخير في الأخير فقال كلمة رقيقة , قال : "صحبكم الله" , الله أكبر.. الله أكبر .. قلب عمر الفظ الغليظ يتفطر من مشهد الأطفال ! من مشهد هؤلاء الأطفال الصغار ! من مشهد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ! تركوا الأوطان , تركوا الأموال , تركوا الأعمام وأخوالاً فراراً بدينهم , في الله وفي

رسوله صلى الله عليه وسلم , لم يحتمل عمر هذا المنظر فقال : "صحبكم الله" , فلما رجع عامر قالت : "يا عامر , لو رأيت عمر إذ أقبل قبل قليل وقال وقال" , قال : "هل طمعتِ في إسلامه ؟" , قالت : "نعم" , قال : "لا يُسلم هذا الذي رأيتِ حتى يُسلم حمارُ الخطاب" .
قلبٌ كان يوصف بقلوب الحمير لبلادته , فتأثر بتلك المشاهد الضعيفة .. أين يذهبون ؟ رضي الله عنهم وأرضاهم , ولكنّ قريش اليوم لم يلن قلبها بعد على ورثة محمد صلى الله عليه وسلم , ورثة محمد صلى الله عليه وسلم أقسم بالله العظيم أنهم في سجون جزيرة العرب في الحائر وفي غيره والأمريكان يسرحون ويمرحون فوق أرض رسول الله صلى الله عليه وسلم , أما في الناس إيمان ؟ أما في الناس غيرة على دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ اللهم إني أبرأ إليكم مما صنع أبو رغال وإخوانه وأعوانه , وأعتذر إليك من تقصير المؤمنين القاعدين عن نصرة بيتك العظيم .
اللهم ردنا إلى ديننا رداً جميلاً .. اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر .. اللهم زين الإيمان في قلوب شباب المسلمين , وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان .. اللهم إنا نعاهدك على أن نواصل المسير إعلاءً لكلمة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حتى يُظهر الله هذا الأمر أو نقتل دونه .. فتقبل منا يا ربنا إنك خير مجيب .

هذا هو السبيل يا عباد الله : هجرةٌ وجهادٌ .. هجرةٌ وجهاد بعد الإيمان .. هكذا سَنَّ رسولنا عليه الصلاة والسلام , وما أدراك عن أجر الهجرة والجهاد ! وهو حسبنا ونعم الوكيل , فقد صحّ عن نبينا عليه الصلاة والسلام في حديثه لعمرو بن العاص رضي الله عنه , عندما جاء يريد أن يشترط لنفسه , فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما قبلها " , فهنيئاً للمهاجرين .. مع الهجرة يخرج الإنسان من ذنوبه السابقة , ويفتح صفحة بيضاء نقية يسجل فيها , وما أدراك ما يسجل فيها ! فقد صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال : " قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خيرٌ من قيام ستين سنة " .. الله أكبر .. الله أكبر , كرمٌ عظيم , ساعةٌ في الصف خيرٌ من قيام ستين سنة , والذين يعيشون اليوم ومتوسط أعمار الأمة قريباً من هذه السنين من ستين إلى سبعين , إذا خابوا وخسروا وابتعدوا عن منهج الله اسمعوا إلى حالهم يوم القيامة : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) ستين سنة يرونها يوم القيامة ساعة , والمجاهد قيام ساعة في الصف خيرٌ من قيام ستين سنة , الله أكبر , لك الحمد يا ربنا على هذا العطاء الجزيل . وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي فاطمة الذي جاءَ إلى رسولنا عليه الصلاة والسلام , رضي الله عنه , يسأل عن عملٍ يقوم به ويستقيم عليه , فقال عليه الصلاة والسلام : " عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها " .
إن الذي يريد أن يقاوم الباطل وهو تحت الباطل هذا مخالف لسُنن الله سبحانه وتعالى , إن المهاجر في كل لحظة كل خلية من خلاياه تصيح في أعماق قلبه أنك خرجت لتحرير البيت العتيق , كل لحظة من لحظاته تصيح خلاياه في قلبه وفي أذنيه إياك أن تنسى البيت العتيق .. فيبقى مهاجراً حتى يرفرف علم التوحيد بحق فوق بلاد الحرمين .
وما أدراك ما أجر الجهاد ! فيكفي المجاهد تحريضاً عليه أن سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة , يوم لا يستطيع الناس أن يتكلموا , يوم يكون كلام الأنبياء : اللهم سلم سلم , ذلك الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر , صح عنه كما في الصحيحين وهو الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام : " والذي نفسي بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل, ثم أغزو فأقتل , ثم أغزو فأقتل " , فهذا هو السبيل يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام .

لا تتكاثروا ولا تستكثروا , إنما عليكم بالعمل .. بالعمل الذي عمله رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلا تستكثروا من الأعمال التي -وإن كانت صالحة- التي ليست هي فرض الساعة اليوم , إذا صيح بالجهاد وأعتدي على أرض الإسلام فهو فرض الساعة , لم يبقِ رسول الله صلى الله

عليه وسلم عندما جاء النصارى في المرة الأولى في عهده عليه الصلاة والسلام لم يبقِ فقيهاً ولا حافظاً ولا معلماً وإنما صاح بهم جميعاً , فما تخلف إلا ثلاثة , هذه هي سنته , والذين تخلفوا علمتم -كما في حديث كعب رضي الله عنه في الصحيحين- العقاب الذي نزل عليهم , مقاطعة عامة من جميع الأمة , ولا يتسع المقام لشرح الحديث لطوله .
وفي الصحيح عنه كما في صحيح الجامع يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الشهداء وقد صح عنه : "أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول لا يلفتون حتى يقتلوا أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة ويضحك إليهم ربك وإذا ضحك ربك إلى عبدٍ في موطنٍ فلا حساب عليه " .

ماذا نريد ؟ ماذا نريد ؟

أليس ابتغاؤنا رضوان الله ؟ أليس ابتغاؤنا الجنة ؟ أم نريد أن نجمع من الأشياء التي سنحاسب عليها إذا خلّفنا وتخلّفنا عن نصرة دين الله سبحانه وتعالى ؟!
فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يردنا إلى دينه رداً جميلاً , ويخرجنا من هذا التيه الذي كُتب علينا بسبب خذلاننا لمقدساته ولدينه , وأن يمن علينا بالرجوع إلى الجهاد والأخذ به , والابتعاد عن المعاصي والكبائر , وأن يمن علينا بهجرة في سبيله , وبشهادةٍ في سبيله مقبلين غير مدبرين حتى يرضى عنا .
فكل فضل يذكر للعلم قال أهل العلم : " هو مقيد بالعمل ".
فهذا الرجل الذي كان في الغزو سمع أبو موسى كما في الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه -أبي موسى الأشعري- قال : "إن الجنة تحت ظلال السيوف" . الله أكبر .. فانظروا إلى نهج السلف , فجاء رجل قال : "يا أبا موسى أأنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟" قال : "نعم" , فمضى الرجل فكسر جفن سيفه .كسر جفن سيفه ! وسلّم على قومه أقرأهم السلام , فذهب وقاتل حتى قُتل .
هو أراد أن يعمل بما علم , أراد أن يتأكد من الحديث هل هو صحيح ؟ لا أن يستكثر من جمع الأحاديث ولا يعمل بها فتكون حجة عليه " أأنت سمعت هذا يا أبا موسى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ " قال : "نعم" , انتهت المسألة ! كم من الأحاديث الصحيحة عن الجهاد وأجره , وكم من الآيات المحرضة عن وجوبه ؟!
فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا خطأنا وزللنا , وأن يبرم لأمتنا أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيها أهل معصيته ويؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .
اللهم فرج عن علمائنا في كل مكان , فرج عن الشيخ عمر عبد الرحمن في سجون أمريكا اللهم ارحم ضعفه وشيبته . اللهم فرج عن علمائنا في جزيرة العرب و غيرها من البلدان , اللهم فرج عن الشيخ سعيد بن زعير وإخوانه في سجون بلاد الحرمين . اللهم فرج عن شباب الإسلام في كل مكان , إنك ولي ذلك والقادر عليه .
اللهم سدد رمي إخواننا المجاهدين في الشيشان , اللهم ثبتهم وانصرهم اللهم زلزل الأرض من تحت أقدام عدوهم . اللهم سدد إخواننا في دولة أفغانستان , سدد الطالبان الذين أقاموا شرع الله سبحانه وتعالى في هذه الأرض , ويَسَّرَ الله للمجاهدين أن يلوذوا ويؤوا إلى هذه الأرض بعد عقود طويلة من الدول التي تحكم بغير ما أنزل الله .

في الختام نرجوه سبحانه وتعالى أن يتقبل منا ومنكم صيامنا وقيامنا و زكواتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصل اللهم وبارك على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

